الخصائص الإملائية المميزة للقرآن الكريم
بين التوقيف والاصطلاح

أ: مسعود طواهرية
جامعة الوادي

ملخص المقال :

للقرآن الكريم قواعد إملائية مميزة تعرف بقواعد الرسم العثماني حصرها العلماء في ست قواعد ، وقد اختلف العلماء في رسم المصحف ، فكانت لهم آراء ثلاثة :

الرأي الأول يعتبر الرسم العثماني أمرا توقيفيا لا تجوز مخالفته وذلك مذهب الجمهور ، أما الرأي الثاني ، فيعتبره أمرا اصطلاحيا تجوز مخالفته ، وأما الرأي الثالث ، فيوجب كتابة المصحف لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة ، ويوجب في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني كأثر من الآثار النفيسة الموروثة .

Résumé:

L'orthographe coran règles connues les règles Uthmaani . Les savants diffèrent dan l'écriture du Coran k ,étaient leurs : trois points de vue:

Premier avis: L'écriture Uthmaani est Toukivia , ne sera pas violé , et le second point de vue voit la violation de passeport , et le troisième point de vue Veugb écrit le coran pour le grand public sur la terminologie commune connue , et nécessite à la fois le maintien de l'effet traceurs précieux héritage uthmaani .

مدخـل

الخط ثلاثة أقسام :

- خط يجري على قواعد اللغويين. ويسمى بالرسم الإملائي، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها والوقف عليها ، ويسمى أيضا بالرسم القياسي ، وفيه يوافق رسم الكلمة لفظها نحو: (الحمد ، يوم ، نعبد، نستعين ، اهدنا، صراط ، أنعمت ، غير، قال ، سمع ، كتاب ...)

، و من صفاته وخصائصه : أنّ الأصل فيه القياس ولكنّه لا يخلو من الاصطلاح (مخالفة الرسم للفظ) ، كما أنّ ممّا يميّزه عن غيره كونه قابلا للتطوّر والتغيّر...

- وخط يجري على ما أثبته اللفظ وإسقاط ما حذفه ، ككتابة التنوين وحذف همزة الوصل. ويسمى بالرسم العروضي ، وهو

خاص بتقطيع الشعر ومعرفة وزنه وبحره ، وقاعدته الأولى رسم الكلمة باعتبار النطق بها مطلقا، ثم هو قائم على تتبع الحركات

والسكنات وله شكل في الكتابة خاص .

- والخط الثالث خط يتبع الاقتداء السلفي ، وهو خط المصحف بكل رسومه وقواعده المتبعة لمصحف الإمام والعمل الأول،

وهو الرسم العثماني الذي يصطلح عليه البعض بالرسم الاصطلاحي (1) أو التوقيفي (2)، وفيه يخالف رسم الكلمة لفظها نحو:

(الصلوة) بإبدال الألف واوا ، (ضحيها) بإبدال الألف ياء ، (ملك) بحذف الألف بعد الميم، (يأتين) بحذف الياء بعد النون، (أولئك)

بزيادة الواو بعد الهمزة ، (إنّ ما) بالفصل (ألاّ) بوصل (أن) بـ (لا) ... والمقصود به الرسم الذي كتب به المصحف الشريف

وأجمع عليه الصحابة على عهد الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنهم أجمعين .

والذي يهمنا في هذا المقال رسم المصحف ، ويراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان- رضي الله عنه- في كتابة كلمات القرآن وحروفه ، والأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق ، وذلك لأغراض شريفة تظهر لنا فيما بعد .

« وقد عني العلماء بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء خطها على غير مقياس لفظه وقد أفرده بعضهم بالتأليف منهم الإمام أبو عمرو الداني ، إذ ألف فيه كتابه المسمى المقنع، ومنهم العلامة أبو عباس المراكشي إذ ألف كتابا أسماه عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل ، ومنهم العلامة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي ، إذ نظم أرجوزة سماها اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم ، ثم جاء العلامة المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارىء بالديار المصرية فشرح تلك المنظومة وذيل الشرح بكتاب سماه مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن»(3) .

أولا : *القواعد المميزة للرسم العثماني*

للمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه حصرها علماء الفن في ست قواعد وهي : الحذف ، والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والفصل والوصل ، وما فيه قراءتان فقرئ على إحداهما. واعلم أن الخط جرى على وجوه فيها ما زيد عليه على اللفظ ، ومنها ما نقص ، ومنها ما كتب على لفظه ،

وذلك لحكم خفية وأسرار بهية ، تصدى لها أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء في كتابه عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل ، وبين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها. واليك تفاصيلها . (4)

1- قاعدة الحذف : خلاصتها أن تحذف الألف من ياء النداء نحو: يأيها الناس ، ومن ها التنبيه نحو : هنتم ومن كلمة نا إذا وليها ضمير نحو أنجينكم ، ومن لفظ الجلالة الله ومن كلمة إله ومن لفظي الرحمن وسبحن ، وبعد لام نحو : كلمة خلئف ، سَلَم وبين اللامين في نحو: الكللة ، ومن كل مثنى نحو ، رجلن ، ومن كل جمع تصحيح لمذكر أو لمؤنث نحو: سمعون المؤمنت ، ومن كل جمع على وزن مفاعل وشبهه نحو المساجد والنصارى ، ومن كل عدد نحو ثلاث ، ومن البسملة ومن أول الأمر من سأل وغير ذلك إلا ما استثني من هذا كله . وتحذف الياء ، من هذه الكلمات :أطيعون ، اتقون ، خافون ، فارهبون، فأرسلون ، واعبدون ، إلا ما استثني . وتحذف الواو إذا وقعت مع واو أخرى في نحو لا يستون ، فأوا إلى الكهف ، وإذا الموؤدة ، يؤسا وتحذف اللام إذا كانت مدغمة في مثلها نحو : الليل ، إلا ما استثني.

وهناك حذف لا يدخل تحت قاعدة : كحذف الألف من كلمة مالك ، وكحذف الياء من إبراهيم ، وكحذف الواو من ، ويدعو الإنسان ، ويمحو الله الباطل ، يوم يدعو الداع ، سندعو الزبانية .

2- قاعدة الزيادة : خلاصتها أن الألف تزاد بعد الواو في آخر كل اسم مجموع ، أوفي حكم المجموع نحو: ملاقوا ربهم ، بنوا إسرائيل ، أولوا الألباب وبعد الهمزة المرسومة واوا ، نحو تالله تفتأ ، فإنه ترسم هكذا : تالله تفتؤا ، وفي كلمات : مائة ومائتين والظنون والرسول والسبيل ، في قوله تعالى: وتظنون بالله الظنونا (الأحزاب 10)، وأطعنا الرسولا، (الأحزاب 66) ، فأضلونا السبيلا ، (الأحزاب67)

وتزاد الياء في هذه الكلمات نبأ ، آناء ، من تلقاء ، بأييكم المفتون(القلم06)، وإيتاء ذي القربى (النحل 90) ، من وراء حجاب (الشورى51) بأيد من قوله تعالى: والسماء بنينها بأييد ، (الذاريات47) ، وتزاد الواو في نحو: أولو ، أولئك ، أولاء ، أولات.

3- قاعدة الهمز : خلاصتها أن الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها نحو : ائْذَنْ ، اؤْتُمِنَ ، الْبَأْسَاءِ ، إلا ما استثني . أما الهمزة المتحركة فإن كانت أول الكلمة واتصل بها حرف زائد كتبت بالألف مطلقا سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة نحو : أَيُّوبَ ، أُولُو، إذَا ، سَأَصْرِفُ ، سَأُنْزِلُ ، فَبِأَيِّ : إلا ما استثني.

وإن كانت الهمزة وسطا فإنها تكتب بحرف من جنس حركتها نحو : سَأَلَ ، سُئِلَ ، تَقْرَأَهُ ، إلا ما استثني . وإن كانت متطرفة كتبت بحرف من جنس حركة ما قبلها نحو : سَبَإٍ ، شَاطِئُ ، لُؤْلُؤٌ، إلا ما استثني وإن سكن ما قبلها حذفت نحو : مِلءُ الْأَرْضِ ، يُخْرِجُ الْخَبْءَ ، إلا ما استثني. والمستثنيات كثيرة في الكل.

4- قاعدة البدل : خلاصتها أن الألف تكتب واوا للتفخيم في مثل: الصلاة والزكاة والحياة إلا ما استثني، وترسم ياء إذا كانت منقلبة عن ياء نحو يتوفاكم ، ياحسرتاي ، وكذلك ترسم الألف ياء في هذه الكلمات :إلى ، على ، أنى بمعنى كيف ، متى ، بلى، حتى لدى ماعدا لدى الباب في سورة يوسف فإنها ترسم ألفا إلا ما استثني ، وترسم النون ألفا في نون التوكيد الخفيفة وفي كلمة إذن، وترسم هاء التأنيث تاء مفتوحة في كلمة رحمة بالبقرة والأعراف وهود ومريم والروم والزخرف ، وفي كلمة نعمة بالبقرة وآل عمران والمائدة وإبراهيم والنحل ولقمان وفاطر والطور ، وفي كلمة لعنة الله ، وفي كلمة معصية بسورة المجادلة ، وفي هذه الكلمات : إن شجرة الزقوم ، قرة عين ، جنة نعيم بقية الله ، وفي كلمة امرأة إذا أضيفت إلى زوجها نحو: امرأت عمران ، امرأت نوح ، وفي غير ذلك إلا ما استثني ، وكذلك رسمت الكلمات الآتية بالتاء المفتوحة ، وهي : غيابة الجب (في يوسف) ، أنزل عليه آية (في العنكبوت) ، ثمرة من أكمامها (في فصلت) ، وهم في الغرفة آمنون (في سبأ) ، وذلك لأنها جميعها مقروءة بالجمع والإفراد وغير هذا كثير ، وحسبنا ما ذكرناه من هذه الأمثلة .

5- قاعدة الوصل والفصل : خلاصتها أن كلمة أن (بفتح الهمزة) توصل بكلمة لا إذا وقعت بعدها ، ويستثنى من ذلك عشرة مواضع منها أن لا تقولوا إلا الله ، وكلمة من توصل بكلمة ما إذا وقعت بعدها ، ويستثنى من ما ملكت أيمانكم (في النساء والروم) ومن ما رزقناكم (في سورة المنافقين) ، وكلمة من توصل بكلمة من مطلقا ، وكلمة عن توصل بكلمة ما إلا قوله سبحانه : عن ما نهوا عنه ، وكلمة إن بالكسر توصل بكلمة ما التي بعدها إلا قوله سبحانه : وإن ما نرينك ، وكلمة أن بالفتح توصل بكلمة ما مطلقا من غير استثناء ، وكلمة كل توصل بكلمة ما التي بعدها إلا قوله سبحانه : كل ما ردوا إلى الفتنة (النساء 91) من كل ما سألتموه (إبراهيم 34) وتوصل كلمات نعما وربما وكأنما ويكأن ونحوها .

6- قاعدة ما فيه قراءتان : خلاصتها أن الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما كما رسمت الكلمات الآتية بلا ألف في المصحف وهي : مالك يوم الدين ، يخادعون الله ، وواعدنا موسى ، تفادوهم ، إن الله يدافع ، وما هم بسكارى ، المضغة عظاما ، ولاتصاعر ، ربنا باعد ، ونحوها وكلها مقروءة بإثبات الألف وحذفها ، وكذلك رسمت الكلمات الآتية بالتاء المفتوحة وهي غيابة الجب ، أنزل عليه آية (في العنكبوت) ثمرة من أكمامها (في فصلت) ، وهم في الغرفة آمنون (في سبأ) وذلك لأنها جميعا مقروءة بالجمع والإفراد ، والصراط كيف وقع ، والمصيطرون ومصيطر بالصاد لاغير وبصطة في الأعراف.

ثانيا : فوائد الرسم العثماني ومزاياه:

قد يتساءل قارئ المصحف والباحث في الرسم القرآني عن السر في اختلاف حروف الرسم . وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن الاستئناس بالفوائد الآتية:(5).

الفائدة الأولى : الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان ، وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتمل هاتين

القراءتين أو الأكثر ، فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل ، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل ، وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به ، مثال الكلمة تكتب بصورة واحدة وتقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى: إن هذن لسحرن (طه 63) رسمت في المصحف العثماني هكذا من غير نقط ولا شكل ولا تشديد ولا تخفيف في نوني إن وهذان ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من هذان ، ومجيء الرسم كما ترى كان صالحا عندهم لأن يقرأ بالوجوه الأربعة التي وردت كلها بأسانيد صحيحة :

أولها : قراءة نافع ومن معه ، إذ يشددون نون إن ويخففون هذان بالألف ، ثانيها : قراءة ابن كثير وحده ، إذ يخفف النون في إن ويشدد النون في هذان ، ثالثها : قراءة حفص ، إذ يخفف النون في إن وهذان بالألف ، رابعها : قراءة أبي عمرو بتشديد إن وبالياء وتخفيف النون في هذين ، فتدبر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أن سلفنا الصالح كان في قواعد رسمه للمصحف أبعد منا نظرا ، وأهدى سبيلا.

الفائدة الثانية: إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة وذلك نحو قطع كلمة أم في قوله تعالى : أم من يكون عليهم وكيلا (النساء 109) ووصلها في قوله تعالى : أمن يمشي سويا على صرط مستقيم (الملك 22) إذ كتبت هكذا : أمن بإدغام الميم الأولى في الثانية ، وكتابتهما ميما واحدة مشددة فقط ، أم الأولى في الكتابة للدلالة على أنها أم المنقطعة التي بمعنى بل ووصل أم الثانية للدلالة على أنها ليست كتلك.

الفائدة الثالثة : الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة كلمة أيد من قوله تعالى : والسماء بنينها بأييد (الذاريات47) إذ كتبت هكذا بأييد ، وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله ، ومن هذا القبيل كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو وهي : ويدعو الإنسان ، ويمحو الله الباطل ، يوم يدعو الداع ، سندعوا الزبانية ، فإنها كتبت في المصحف العثماني هكذا : ويدع الإنسان ، ويمح الله الباطل ، يوم يدع الداع ، سندع الزبانية ، قالوا والسر في حذفها من : ويدع الإنسان ، هو الدلالة على أن هذا الدعاء سهل على الإنسان يسارع فيه كما يسارع إلى الخير بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير ، والسر في حذفها من : ويمح الله الباطل الإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله .

والسر في حذفها من يوم يدع الداع الإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين ، والسر في حذفها من : سندع الزبانية الإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ، ويجمع هذه الأسرار قول المراكشي : والسر في حذفها من هذه الأربعة سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود.

ويقدم صاحب البرهان أمثلة عديدة عن تعليل معاني رسم المصحف (6)

الفائدة الرابعة : الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء في قوله سبحانه وإيتآءِ ذى القربى (النحل 90) ، إذ تكتب هكذا وإيتاءى ذي القربى ومثل كتابة الضمة واوا في

قوله سبحانه سأريكم دار الفاسقين ، إذ كتبت هكذا سأوريكم ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو الصلاة والزكاة إذ كتبا هكذا الصلوة الزكوة ليفهم أن الألف فيهما منقلبة عن واو .

الفائدة الخامسة : إفادة بعض اللغات الفصيحة مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيىء، وقد تقدمت الأمثلة لهذا النوع ومثل قوله سبحانه يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه (هود 105) كتبت بحذف الياء هكذا يأت للدلالة على لغة هذيل .

الفائدة السادسة : حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال ولا يتكلوا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة ، وينضوي تحت هذه الفائدة مزيتان إحداهما التوثق من ألفاظ القرآن وطريقة أدائه وحسن ترتيله وتجويده فإن ذلك لا يمكن أن يعرف على وجه اليقين من المصحف ،المزية الثانية اتصال السند برسول الله وتلك خاصة من خواص هذه الأمة الإسلامية امتازت بها على سائر الأمم.

ثالثا : رسم المصحف بين التوقيف والاصطلاح للعلماء في رسم المصحف آراء ثلاثة

الرأي الأول: أنه توقيفي لا تجوز مخالفته وذلك مذهب الجمهور واستدلوا بأن النبي كان له كتاب يكتبون الوحي ، وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم وأقرهم الرسول على كتابتهم ومضى عهده والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل ، بل ورد أنه كان يضع الدستور لكتّاب الوحي في رسم القرآن وكتابته ومن ذلك قوله لمعاوية - وهو من كتبة الوحي - : ألق الدواة

وحرّف القلم وأنصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك ، ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن بهذا الرسم في صحف ثم حذا حذوه عثمان في مصحفه(7).

ومن المتحمسين لهذا الرأي ابن المبارك الذي نقل في كتابه " الإبريز" عن شيخه عبد العزيز الدباغ أنه قال له: "ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وإنما هو توقيف من النبي ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول ، وهو سر من الأسرار التي خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية "(8)

وملخص هذا الدليل أن رسم المصاحف العثمانية ظفر بأمور كل واحد منها يجعله جديرا بالتقدير ووجوب الاتباع تلك الأمور هي إقرار الرسول عليه وأمره بدستوره ، وإجماع الصحابة وكانوا أكثر من اثني عشر ألف صحابي عليه ثم إجماع الأمة عليه بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين .

ومن أقوال العلماء في وجوب التزام الرسم العثماني : (9)

- قال أشهب : سئل مالك رحمه الله هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء فقال: لا ، إلا على الكتبة الأولى رواه أبو عمرو الداني في المقنع ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة .

وقال في موضع آخر سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ، فقال : لا . قال أبو عمرو يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم لمعنى المعدومتين في اللفظ نحو الواو في : (أُولُو الأَلْبَابِ) (وَأُولاتُ) ، و(الربوا) ونحوه .

- وقال الإمام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك ، وجاء في حواشي المنهج في فقه الشافعية ما نصه كلمة الربا تكتب بالواو والألف كما جاء في الرسم العثماني ، ولا تكتب في القرآن بالياء أو الألف لأن رسمه سنة متبعة وجاء في المحيط البرهاني في فقه الحنفية مانصه إنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني.

- وقال البيهقي في شعب الإيمان : من كتب مصحفا ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا ، فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم.

ويمكن مناقشة هذا الرأي الأول بأن الأدلة التي ساقوها لا تدل على تحريم كتابة القرآن بغير هذا الرسم إذ ليس فيها زجر الإثم ووعيده ولا نهي الحرام وتهديده ، إنما قصارها الدلالة على جواز الكتابة بالرسم العثماني ووجاهته ودقته ، وذلك محل اتفاق وتسليم.

<u>الرأي الثاني</u> : أن رسم المصاحف اصطلاحي لا توقيفي وعليه فتجوز مخالفته ، وممن جنح إلى هذا الرأي ابن خلدون في مقدمته (10) على أن من العلماء من لم يكتف بإباحة مخالفة الرسم العثماني ، بل صرح فوق ذلك بأنه اصطلاحي، ولا يعقل أن يكون توقيفيا . وفي طليعة هؤلاء وممن تحمس له القاضي أبو بكر في كتابه الانتصار إذ يقول ما نصه : "وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا ، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف ... ولذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول وأن يجعل اللام على صورة الكاف وأن تعوج الألفات وأن يكتب على غير هذه الوجوه وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة وجاز أن يكتب بين ذلك"(11)

وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة وكان الناس قد أجازوا ذلك وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته وما هو أسهل وأشهر وأولى من غير تأثيم ، و لم يؤخذ في ذلك على الناس حد محدود مخصوص كما أخذ عليهم في القراءة والأذان ، والسبب في ذلك أن الخطوط إنماهي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز ،

فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت ، وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه.(12)

وإن رأي القاضي أبي بكر هذا لجدير أن يؤخذ به ، وحجته ظاهرة ، ونظره بعيد ، فهو لم يخلط بين عاطفة الإجلال للسلف وبين التماس البرهان على قضية دينية تتعلق برسم كتاب الله . أما الذين ذهبوا إلى أن الرسم القرآني توقيفي أزلي فقد احتكموا في ذلك إلى عواطفهم، واستسلموا استسلاما شعريا صوفيا إلى مذاويقهم ومواجيدهم ، والأذواق نسبية ؛ لا دخل لها في الدين ، ولا يستنبط منها حقيقة شرعية . (13)

الرأي الثالث : يميل صاحب التبيان ، ومن قبله صاحب البرهان إلى ما يفهم من كلام الشيخ العز ابن عبد السلام من أنه يجوز ، بل تجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم ، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثماني الأول لئلا يوقع في تغيير من الجهال ولكن يجب في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين ، بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا تخلو منهم الأرض وهاك عبارة التبيان في هذا المقام إذ يقول ما نصه:

"وأما كتابته أي المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ، فقد جرى عليه أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس وتحاماه أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك وقد سئل هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء فقال لا ، إلا على الكتبة الأولى"(14)

وقد علق صاحب البرهان بقوله : " هذا كان في الصدر الأول والعلم حي غض ، وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال . ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدي إلى دروس العلم ، وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة "(15)

أقول وهذا الرأي يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف فيه إبعادا للناس عن اللبس والخلط في القرآن وناحية إبقاء رسمه الأول المأثور يقرؤه العارفون ومن لا يخشى عليهم الالتباس ، ولا شك أن الاحتياط مطلب ديني جليل خصوصا في جانب حماية التنزيل .

وملخص هذا الرأي الأخير أن العامة لا يستطيعون أن يقرأوا القرآن في رسمه القديم ، فيحسن بل يجب أن يكتب لهم بالاصطلاحات الشائعة في عصرهم ، ولكن هذا لا يعني إلغاء الرسم العثماني القديم لأن في إلغائه تشويها لرمز ديني عظيم اجتمعت عليه الكلمة ، واعتصمت به الأمة من الشقاق، ففي الأمة دائما علماء يلاحظون هذه الفروق الضئيلة في طريقة الرسم العثماني ، ومن الممكن - ذلك - كما اقترحت مجلة الأزهر أن ينبه في ذيل كل صفحة من

صفحات المصحف على ما عسى أن يكون فيها من الألفاظ المخالفة للاصطلاح الحديث في الخط والإملاء (16) .

رابعا : آراء بعض العلماء والمفكرين المحدثين في الخروج عن الرسم العثماني :

1- رأي الدكتور أيمن سويد :وقد شكك الدكتور في صحة نسبة الفتوى إلى الشيخ العز بن السلام التي تجيز كتابة المصحف لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة عندهم ، حيث يقول "وقد بحثت عن فتوى العز هذه في فتاويه فلم أجدها وبحث عنها قبلي الدكتور غانم قدوري الحمد فلم يجدها." (17)

وللدكتور أيمن سويد وقفات ثمان مع هذه الفتوى أنقلها ها هنا بشيء من التصرف:

أ- أيعقل أن يخرق سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام ما أجمع عليه خلال سبعة قرون من وجوب إتباع رسم المصحف

الإمام وهو العالم المتبحر الورع.

ب- ثم هل هذه العبارة (السابقة) صياغة عالم فقيه؟

ت- ثم ما المقصود بـ (الآن) حتى يبنى عليها حكم عدم الجواز .

ث- وهل كان إتباع رسم المصحف واجبا عند علماء الأمصار ثم صار (الآن) لا يجوز ؟

ج- وهل مراعاة حال الجهال تكون بتغيير كتابة المصحف الشريف الذي أجمعت عليه الأمة سبعة قرون إلى زمان العز أم

تكون بتعليمهم ؟

ح- وهل ظهر الجهال فجأة في المائة السابعة أم أنّهم موجودون على مرّ الدهور وكرّ العصور ؟

خ- ثم افرض أنّ العزّ أراد أن يراعي حال الجهال فهل يكون هذا بأن يفتي بـ (لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم

الأولى باصطلاح الأئمة) ، أم بأن يقول مثلاً : تجوز كتابة المصحف على ما أحدثه النّاس من الهجاء مراعاة لحال الجهال .

ويؤكد الدكتور أيمن سويد في الأخير قائلا : " والذي ظهر لي وأكاد أجزم به أنّ هذه الفتوى قد صحفت عن قصد أو غير قصد على العز بن عبد السلام وأنّ كلمة (الآن) تحريف لكلمة (إلاّ) أقحمت عليها النون فقلبت معناها رأسا على عقب، ولو أعدنا نص الفتوى على هذا التقرير لصارت : لا تجوز كتابة المصحف إلاّ على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال . ثم قال : "والظاهر والله أعلم أنّ نص هذه الفتوى قد وقع للزركشي محرفا ولم ينتبه إلى ذلك وهو مع هذا قد استشكله ممّا جعله مضطرا للتعليق عليه..." (18)

2- رأي الشيخ رشيد رضا: وقد أجاز مخالفة الرسم العثماني للضرورة ، حيث يقول في الفتاوى : " مست الضرورة لطبع مصحف مفسر بالرسم العرفي ليقرأه الجماهير قراءة صحيحة غير محرفة ويفهموه إذ علم بالتجربة أن أكثر الناس يخطئون في القراءة في هذه المصاحف إلا من تلقاها

من القراء وقليل ما هم ،وسئلنا عن ذلك فأجبنا عنه . مما رأيتموه في الجزء الثاني من منار هذه السنة من الجواز وتعليله " (19)

3- رأي الشيخ الزرقاني : له رأي خاص في مناهل العرفان استنبطه واستقاه انطلاقا من فتوى العز بن عبد السلام بعد أن ركّب ومزج – من حيث لا يشعر – بينها وبين تعليق الزركشي عليها ، فاهتدى إلى نوع من الازدواجية في كتابة المصحف ، الأولى بالتزام رسم الإمام محافظة على التراث ورسم الأوائل ، والثانية كتابته بالرسم الإملائي الحديث تقريبا وتيسيرا على العامة وتسهيلا لفهمه وقراءته ... حيث يقول ما نصّه : "وهذا الرأي يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين : ناحية كتابته في كلّ عصر بالرسم المعروف فيه، إبعاداً للناس عن اللبس والخلط في القرآن، وناحية إبقاء رسمه الأوّل المأثور، يقرؤه العارفون ومن لا يخشى عليهم الالتباس . ولا شكّ أنّ الاحتياط مطلب ديني جليل ، خصوصا في جانب حماية التنزيل." (20)

4- الشيخ المراغي في تفسيره : وقد جرى على مذهب العزّ بن عبد السلام حيث يقول: "وقد جرينا على الرأي الذي أوجبه العز بن عبد السلام في كتابة الآيات أثناء التفسير للعلة التي ذكرها ، وهي في عصرنا أشدّ حاجة إليها من تلك العصور، على أنّ الخلاف بينهم في المصحف لا في القرآن ولو أثناء التفسير كما فعلنا." (21)

5- رأي رجاء النقاش رئيس تحرير مجلة الهلال :وقد كتب في أحد أعدادها التي خُصصت للقرآن الكريم سنة 1970م مقالا تحت عنوان "حرروا القرآن من هذه القيود " فقال : " إن من واجبنا و لا شك أن نحتفظ بالمصحف القديم بخطه المعروف فذلك أثر عزيز من آثارنا لا يجوز أن نهمل في المحافظة عليه ، ولكن يجب أن تكون لدينا الشجاعة الدينية الكافية لكي نطبع مصحفا خاليا من هذه الحروف التي تجعل قراءته صعبة بل ومستحيلة إلا عند المتخصصين .." (22)

6- ابن الخطيب في كتابه (الفرقان) : تابع هذا المفكر ابن خلدون في وسم رسم المصحف بالسقم والخطأ واللحن قائلا : "ولما

كان أهل العصر الأوّل قاصرين في فنّ الكتابة، عاجزين في الإملاء لأميتهم وبداوتهم وبُعدهم عن العلوم والفنون، كانت كتابتهم

المصحف الشريف سقيمة الوضع ، غير محكمة الصنع ، فجاءت الكتابة الأولى مزيجا من أخطاء فاحشة ومناقضة متباينة في

الهجاء والرسم." (23)

7-عبد العزيز ومن معه من المطالبين بكتابة العربية عموما والمصحف الكريم من جملتها بالحروف اللاتينية: فقد وصف كتابة المصحف ورسمه في كتابه (الحروف اللاتينية لكتابة العربية) بأنّها "بدائية سقيمة قاصرة " ووصل به الحقد أو الجهل إلى وسمه بـ "السخف" (24)

<u>رابعا : قرارات المجامع الفقهية حول الرسم العثماني:</u>

تضم المجامع الفقهية الحديثة عددا من العلماء المحققين المخلصين وقد أصدرت قرارات

واضحة وحاسمة حول هذه القضية ، وهي تمثل في العصر الحاضر إجماع علماء الأمة ، أو الأكثرية منهم على الأقل ، ونلص هذه القرارات كالآتي :

1- قرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف:

بحث المجمع الموضوع في المؤتمر السادس المنعقد في الفترة من 30 من المحرم 1391هـ إلى 5 صفر 1391هـ (25)

وبعد المناقشة يقرر المؤتمر ويوصي بأن يعتمد المسلمون على الرسم العثماني للمصحف الشريف ، حفظا له من التحريف(26) وقد اختارت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بقاء المصحف على الرسم الذي كان عليه في عهد عثمان رضي اللّه عنه . وعدم كتابته على الرسم الإملائي الحديث ، لأن الرسم الحديث ما يزال موضع الشكوى لعدم تيسير القراءة به ، ثم إن قواعد الإملاء عرضة للتعديل ، فهل يكتب القرآن على القواعد الإملائية المعدلة أو القديمة ، وقد توجد عدة نسخ مختلفة الرسم ، وهنا تكون البلبلة والتعرض لتحريف القرآن وضعف الثقة فيه ، ثم أن تلاوة القرآن لا تؤخذ أبدا من الرسم ، بل من التلقي ، لأن هناك أحكاما لتجويد القرآن وإخراج الحروف من مخارجها الحقيقية لا يمكن للشكل الإملائي أن يدل عليها (27)

2- قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية:

أصدرت هيئة كبار العلماء القرار رقم 71 بتاريخ 21/ 10/ 1399هـ بعد اطلاعها على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في حكم كتابة القرآن بطريقة الإملاء العادية ، وإن خالف ذلك الرسم العثماني.

وبعد دراسة الموضوع ومناقشته تبين للمجلس أن هناك أسبابا تقتضي بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني وهي:

أ- ثبت أن كتابة المصحف بالرسم العثماني كانت في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنه أمر كتبة المصحف أن يكتبوه على رسم معين ، ووافقه الصحابة ، وتابعهم التابعون ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، وثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي". فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين، اقتداء بعثمان وعلي وسائر الصحابة وعملا بإجماعهم.

ب- إن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليا بقصد تسهيل القراءة يفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة، لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها ، فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين، ويجد أعداء الإسلام مجالا للطعن في القرآن الكريم ، وقد جاء الإسلام بسد ذرائع الشر ومنع أسباب الفتن .

ج- ما يخشى من أنه إذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن أن يصير كتاب الله ألعوبة بأيدي الناس ، كلما عنت الإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها ، فيقترح كتابته باللاتينية أو غيرها ، وفي هذا ما فيه من الخطر، ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح.

وبناء على هذه الأسباب قرر المجلس : أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني ، ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة ، محافظة على كتاب الله من التحريف ، واتّباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف .(28)

3- قرار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة:

فبعد أن اطلع على خطاب الشيخ هاشم وهبة عبد العال من جدة الذي ذكر فيه موضوع : تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي . وبعد مناقشة هذا الموضوع من قبل المجلس واستعراض قرار هيئة كبار العلماء بالرياض الصادر في هذا الشأن وما جاء فيه من ذكر الأسباب المقتضية بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني .

قرر بالإجماع تأييد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية ، من عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ما هو عليه ، ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، واتّباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف .

أما الحاجة إلى تعليم القرآن وتسهيل قراءته على الناشئة التي اعتادت الرسم الإملائي الدارج ، فإنها تتحقق عن طريق تلقين المعلمين؛ إذ لا يستغني تعليم القرآن في جميع الأحوال عن معلم، فهو يتولى تعليم الناشئين قراءة الكلمات التي يختلف رسمها في المصحف العثماني عن رسمها في قواعد الإملاء الدارجة، ولا سيما إذا لوحظ أن تلك الكلمات عددها قليل، وتكرار ورودها في القرآن كثير، ككلمة الصلاة والسموات ونحوهما ، فمتى تعلم الناشئ الكلمة بالرسم العثماني سهل عليه قراءتها كلما تكررت في المصحف ، كما يجري مثل ذلك تماما في رسم كلمة "هذا " و"ذلك" في قواعد الإملاء الدارجة.(29)

خاتمة :

بعد هذا العرض يتضح لنا أن للقرآن الكريم خصائص إملائية مميزة تتجلى في ستة قواعد تعرف بالرسم العثماني

وقد أشار بعض العلماء إلى حكمها البهية وأسرارها الخفية . وقد تباينت آراء العلماء حول مشروعية هذا الرسم وانقسمت إلى ثلاثة اتجاهات :

- اتجاه يعتبر الرسم العثماني أمرا توقيفيا لا تجوز مخالفته وهو رأي جمهور العلماء قديما وحديثا وعلى رأسهم الأئمة مالك وأحمد بن حنبل ومحمد بن المبارك ، وأبرز المجامع الفقهية المعاصرة . وحجة هؤلاء جميعا أن رسم المصحف الإمام ظفر بأمور تجعله جديرا بالتقدير ووجوب الاتباع . تلك الأمور هي إقرار الرسول عليه وأمره بدستوره ، وإجماع الصحابة ثم إجماع الأمة عليه بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين . ثم أنه بعد ذلك كله هو حماية ومحافظة للقرآن الكريم من أي تحريف وتشويه .

- أما الرأي الذي اعتبر الرسم العثماني أمرا اصطلاحيا لاتوقيفيا وبالتالي تجوز مخالفته ، فإنه بدا لنا رأيا شاذا جنح إليه قلة من العلماء قديما وحديثا ، ومن تبنى هذا الرأي ابن خلدون والقاضي أبو بكر .
- وهناك رأي ثالث اعتمد على فتوى العز بن عبد السلام ، يجيز بمقتضاها كتابة المصحف لعامة الناس وللناشئين بالمصلحات المعروفة في كل بدافع التيسير، مع التأكيد على احترام الرسم العثماني كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح ، فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين ، بل يبقى في أيدي العارفين . هذا ومهما كانت وجاهة هذا الرأي ، فإن مسألة تيسير القرآن تتحقق حتما عن طريق تلقين المعلمين ؛ إذ لا يستغني تعليم القرآن في جميع الأحوال عن معلم ، فهو يتولى تعليم الناشئين نطق الحروف وأحكامها وقراءة الكلمات التي يختلف رسمها .

* هوامش المقال *

1- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين. علي بن محمد الضبّاع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة 1420هـ 1999م ص20

2- دليل الحيران على مورد الظمآن في فنّي الرسم والضبط. إبراهيم المارغني، دار الكتب العلمية بيروت 1415هـ 1995م ص25

3- مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركائه ، القاهرة ، ط 3 ، ج1 ، ص : 369

4 - ينظر المصدر نفسه ج1 ص369 وبعدها ، والإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، عالم الكتب بيروت ، ج2 ، ص: 166 وبعدها

5 - ينظر، مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، ج1 ، ص : 373 وما بعدها

- ينظر البرهان في علوم القرآن محمد الزركشي دار المعرفة بيروت ، 1991 ،ج1 ، ص :381 وما بعدها6

7 - ينظر السابق، ج1 ، ص : 260

8 - ينظر نفسه ، ج1 ، ص : 260

- ينظر نفسه ، ج1 ، ص : 279 9

- ينظر مقدمة ، ابن خلدون ، ص : 10279

11- مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، ج1 ، ص : 380 ،381

12- نفسه ، ص: 381

13 - مباحث في علوم القرآن صبحي الصالح ، ص : 379

14 - السايق ، ج1 ، ص: 385

15 - ينظر البرهان في علوم القرآن محمد الزركشي ، ج1 ص :379

- ينظر مباحث في علوم القرآن صبحي الصالح ، ص : 16380

17- تقديم الدكتور أيمن سويد لكتاب: رسم المصحف ونقده للدكتور عبد الحي الفرماوي ، دار نور المكتبات ، جدة ، 1425 هـ

18- نفس المرجع (تقديم الكتاب)

19-فتاوى الشيخ رشيد رضا ، جمع صلاح الدين المنجد ج6 ، الفتوى رقم 1001 ص: 2513

20-مناهل العرفان الزرقاني ، ج1 ، ص : 255

21-تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، القاهرة ، ط1 ، 1944 ج1، 15

22-جهود الأمة الإسلامية في رسم القرآن الكريم ، عبد الهادي حميتو، بحث قدّمه في المؤتمر العالمي الأوّل للباحثين في القرآن الكريم ص: 46

23-الفرقان ، ابن الخطيب ، دار الكتب المصرية القاهرة ، 1948 ، ص :57

24- المرجع السابق ، نقلا عن كتاب الحروف اللاتنية لكتابة العربية ، مطبعة مصر القاهرة ، 1944م ، ص : 23-31

25 - ناقش المؤتمر بحثا لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة -عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر- فرع أسيوط، بعنوان "رسم

المصاحف العثمانية" تحدث فيه عن الكتابة عند العرب، وفي بداية الإسلام، وعن كتابة القرآن الكريم بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم-

وجمعه في عهد الخليفة الأول أبي بكر -رضي الله عنه- ونسخ المصاحف في عهد عثمان -رضي الله عنه- ثم تحدث عن معنى الرسم

وقواعده، ثم بين مذاهب العلماء في كون الرسم العثماني توقيفيا أو اجتهاديا، وعرض لأدلة العلماء في ذلك، وفوائد الرسم العثماني، وشبه

بعض المستشرقين حول كتابة القرآن ورسمه

26- مجمع البحوث الإسلامية، تاريخه وتطوره 1403هـ 1983م ص425-426

27- ينظر فتاوى الأزهر المجلد السابع ، ص : 476 ، موقع وزارة الأوقاف المصرية ، Http://www.islamic-councel.com

28- ينظر أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية المجلد السابع ص : 339 نقلا عن موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية Http://www.alifta.com

29- ينظر تفصيل القرار، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد الرابع، السنة الثانية 1410هـ 1989 ص485-486.